قطّ و فقط في التراكيب اللغوية ؛ دراسة لغوية : صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، ودلالية

نايف محمد النجادات(*)

ملخص

لفظتا (قط و فقط) في اللغة العربية من الألفاظ اللغوية الكثيرة الدوران في الاستخدام الأدائي كتابة و مشافهة ، قديما وحديثا ؛ ذلك أن مستخدم اللغة العربية ؛ الناطق و المتلقي على السواء ؛ محوجان إلى التأكيد على المعاني الواردة في التراكيب الكلامية ؛ خشية تسرب الشك إلى نفس المتلقي بخاصة .

ونظرا لعدم وجود دراسة لغوية للفظتين (قط وفقط) ؛ اجتهدت في هذه الدراسة؛ أعرض خلالها البناء الصوتي و الصرفي والدلالة المعجمية والمستوى التركيبي للفظتين ، وفقا للمنهج الوصفي التحليلي ، محاولا الإفادة من جهود الدارسين القدماء والمحدثين في هذا الباب. وقد توصل البحث إلى نتائج منها :

- أشارت المعاجم إلى علاقة بين معنى : قطّ وقطع ، و يبدو أن البناء الصوتي والصرفي أصله : قطع ، وسقط صوت العين ، وعوضت الكلمة عن سقوط أصل من أصولها بتضعيف الطاء ، ثمّ صارت أصلا لغويا جديدا .

- وتوجد صورٌ متعددة من البناء للفظة قط ؛ قطُّ بالضمّ ، وقطٌّ بتنوين الضم ، وقطِ بالكسرة دون تضعيف ، وقطّ بالتسكين .

- وقطّ لها معانٍ نحوية (تركيبية) متعددة ، منها : الدلالة على فعل القطع ، وظرف لنفي الماضي ، واسم فعل أمر بمعنى حسبك ، وغيرها .

- وجاءت فقطْ بزيادة سابقة – صوت الفاء– على قط ، وهي مبنية على الضمّ ، وتخصصت للدلالة على معنى: لا غير ، وتقع – غالبا– في التراكيب اللغوية المشتملة على القيم المالية، نحو : ادفعوا مائة دينار فقط ، أو المساحات والمكاييل والمقاييس والأوزان ، نحو : اشتريت عشرين دونما فقط.

- ويبدو أنّ لفظة (فقط) حديثة عهد في العربية؛ لعدم ورودها في نصوص عربية جاهلية؛ ويبدو أنها من الألفاظ التي تطلبها التطور العربي في العصور اللاحقة، وكان من مقتضيات هذا التطور الاهتمام بالمساحات والمكاييل والمقاييس والأوزان، ولفت انتباه ابن اللغة لأهميتها عن طريق جلب كلمة جديدة.

---

* جامعة البلقاء التطبيقية – كلية العقبة الجامعية – الأردن.

Never and only (qatt and faqat) in linguistic constructions : Integrated linguistic study .

Nayif Mohammad Sulayman Al- Nijadat

Abstract

The two words (never and only)(Kattu قط و fakatt فقط) are commonly used in spoken and written performance usage. The sender and the recipient are in need to emphasize the meanings occurring in spoken constructions with a view to prevent the recipient's suspicion .

Due to the lack of relevant studies on these two words , I bent on studying their phonological , syntactic , semantic and morphological construction according to the descriptive analytical method , trying to benefit from previous and modern efforts .

The study culminates in the following points :

- Dictionaries made reference to the relationship between the meaning of never (Kattu قطُّ) and the verb cut (Kattu قطع). It seems that the root of phonological and morphological construction is the word cut (Katata قطَعَ) but the letter ع was dropped for it is weak and guttural .
- Therefore the word replaced the dropped letter by reduplicating the letter (t ط) to become a new linguistic origin .
- There are various pronunciations of the word never (Kattuقطُّ): 1- (Kattuقطُّ) with the the subjective case(Kattu قطُّ),

2- qatt with nunation of the subjective case(Kattun قطٌّ)
3- (Kat قط) with a short vowel i (Kati قطِ) .

- The word never (Kattuقطُّ) has various syntactic meanings such as the signification of the verb cut (Katata قطَعَ), adverbs of negating the past and a command verbal noun with the meaning of (stop , it is enough).

The word only (fakatu فقط) came as a result of adding the letter (fa) to the word (katu) . It is a subjective case to indicate the meaning of the word only . It is often used to express money values , for example , pay JD 100 only .It is also used to indicate measures and weights such as "I bought 20 acres only ".

It is seemingly that the use of "never" (fakatt فقط) Is new for it has never occurred in pre-Islamic texts . It is one of the words which came as a result of technology and interest in measures and weights in the modern age.

تمهيد :

(قط و فقط) في اللغة العربية من الألفاظ اللغوية الكثيرة الدوران في الاستخدام الأدائي كتابة و مشافهة ، قديما وحديثا ؛ ذلك أن مستخدم العربية (الناطق و المتلقي على السواء) محوجان إلى التأكيد على المعاني الواردة في التراكيب الكلامية ؛ فالعرب يميلون إلى المجاز في كلامهم ، ويبدو أنهم يستخدمون أسلوباً من أساليب التوكيد عند قصد معنى بعينه .[1]

وقد لفت انتباهي إلى موضوع : قط و فقط ؛ أنَّ دراسة لم تتناولهما في الاستعمال ؛ رغم كثرة دورانهما في كتب التراث القديمة ؛ فقد ذُكِرتْ : فقط –على سبيل المثال – في لسان العرب ستاً وسبعين مرةً ، وفي القاموس المحيط ثلاثين مرة ، وفي معجم العين أربعمائة وثمان وستين ؛ و نجد أنّ لفظة : قط ، قد فُسِّرت ، ووضِّحَت ، وجُمِعت الشواهد على استخدامها ، ولكنّ المعاجم القديمة لم تذكر معنى (فقط) في مظنّها.[2]

لذا آثرت أنْ أدرس اللفظتين (قط وفقط) دراسة وصفية تحليلية متكاملة ، وفقاً لمنهج اقترحه الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين ؛ أصف البناء الصوتي والصرفي ، وأعرض الدلالة المعجمية ، ثمّ أرصد المستوى التركيبي من خلال أمثلة أجمعها من كتب التراث العربي ، ثم أجتهد في تحليل ما جمعت ووصفت.[3]

وأخيرا ؛ فإنّ هذه الدراسة اجتهاد ، ولا تخلو من نقص أو زلل ؛ فإنْ أصبت فمن الله (تعالى) ، وإنْ أخطأت فحسبي من ذلك أجر المجتهد .

1-المستوى الصوتي :

ترتبط اللفظتان (قط و فقط) صوتيا من جانبين ؛ الأول : الاشتراك في غالبية الأصوات الصامتة : القاف والطاء ، فضلا عن صوت الحركة الواقعة بينهما ، والثاني : أنّ المعجم الوسيط ؛ وهو معجم معاصر ، يشير إلى علاقة بينهما ؛ إذ يرى أن (فقط) جاءت بزيادة الفاء على (قطّ) ، ويرى الراجحي أن (فقط) ليست فرعاً من (قطّ) .[4]

لذا يمكن معالجتهما معا؛ صوتيا ودلاليا وفي الاستعمال للوقوف على مدى العلاقة بينهما.

1- 1 البناء الصوتي للفظة (قط) :

أصل لفظة (قطّ) الثلاثي هو : ق ـــــَــ ط ـــــَــ ط ـــــَــ كما أشار ابن منظور في اللسان [5] ، ويتكون هذا اللفظ من ستة أصوات ، جاءت في

ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، وهو بناؤها المقطعيّ على الأصل .

وترد (قطّ) مضعفة في الاستخدام ،ويلي صوت الطاء الأخيرة صوت الضمة فتكون : قطُّ ؛ وهي مبنية على الضم ؛ وتدل على معنى الظرف ، وقد يأتي صوت الكسرة بعد الطاء: قطِّ ، حين تفيد التقليل .

ويكون تضعيف (قطّ) بإسقاط صوت الحركة بين الطائين ، ليتحقق شرط التضعيف بين المتماثلين ؛ الأول ساكن والثاني متحرك : ق ـَ ط ـْ ط ـُ ؛ وبهذا يتحول بناؤها المقطعيّ عن صورة الأصل إلى مقطعين صوتيين ؛ الأول: مقطع قصير مغلق بصامت، والثاني : مقطع قصير مفتوح .

ويسقط صوت حركة البناء عند الوقف : ق ـَ ط ـْ طـ ، و الطاء من أصوات القلقلة ، والصوت الثاني الذي يظهر للسامع ما هو إلا صوت الطاء الأولى ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ فيبدو أنّ الطاء الثانية قد سقطت أيضا ، وبهذا تتكون (قطّ) عند الوقف من مقطع واحد هو : مقطع قصير مغلق بصامتين ، وهو تركيب له نظير في العربية ، وإنْ كان صعبا ، نحو : بِنْتْ ، وبيتْ ؛ وهذا السلوك اللغوي مألوف ؛ فاللغة في تطورها تميل إلى السهولة والتيسير ، بهدف التقليل من الجهد المبذول لإنتاج الصوت. (6)

ويبدو أن هذا الإسقاط للصوت الناجم عن الإدغام قد أدى إلى بناء (قطُّ) على الضم حين تفيد الزمن الماضي ، وبناء (قطِّ) على الكسر حين يأتي في تركيب له علاقة بالعدد ، (المساحة والوزن ، ونحوهما) ؛ فتفيد التقليل ، ويبدو - أيضاً- أنّ البناء في الحالتين رافق تخصيص الدلالة .

وترد صورة ثالثة لها هي : البناء على تنوين الضم ، وتنوين الكسر ، فيكون بناؤهما الصوتي: ق ـَ ط ـْ ط ـُ ن ، و يأتي بزيادة صوت النون على الصورة المنزاحة عن الأصل ، ويكون مسبوقاً بصوت الكسرة في تنوين الكسر ، وصوت الضمة قبل النون في تنوين الضم ، وبهذا تتركب (قطّ) من مقطعين ؛ كلّ مقطع منهما : مقطع قصير مغلق بصامت .

ويمكن قياس هذه الصورة على التنوين في ألفاظ مبنية ، جرى في اللغة تخصيصها ، مثل : إذن أو إذاً ، لتركيبها كما في حينئذٍ . (7)

أما في : إذن ؛ فإن الصورتين على التنوين لا فرق بينهما من الناحية الصوتية .

والخلاف هو في الصورة الكتابية للتنوين، وهوَ مرتبط باستخدامهما التركيبي .

2-1 البناء الصوتي للفظة (فقط) :

يتشكل التركيب المقطعيّ للفظة : فـــَ قـــَ طـــُ من ستة أصوات ،في ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، وغالبا ما تأتي في آخر الجملة ، فتسقط الحركة الأخيرة ، فيتغير التركيب المقطعيّ لسقوط الحركة الناجم عن الوقف ، فتكون : فـــَ قـــَ طـــ، وبهذا يكون عدد الأصوات خمسة، وينقص التركيب لمقطعي إلى مقطعين ؛ الأول : مقطع قصير مفتوح ، والثاني : مقطع قصير مغلق بصامت، وفي هذا الإنقاص تخـــفيف على مستخدم اللغة .(8)

ويزداد هذا التوفير في الجهد العضلي إذا أخذنا برأي المعجم الوسيط ؛ فقد جاء فيه أن (فقط) جاءت بزيادة الفاء على (قطّ) (9) ، فإذا أخذنا بهذا الرأي ، فإننـــا سنضيف الفاء إلى قطٌّ (بالتنوين) ـــٌ ن ؛ وبهذا يكون البناء المقطعيّ قد أُنقص منه التنوين ، ويسقطُ صوت الحركة أيضا عند التسكين – فقط –.(10)

2- المستوى الصرفي :

لا تذكر المعاجم القديمة علاقة بين قط وفقط ، وهي في الأصل لم تذكر(فقط) في مظنها ، ويشير المعجم الوسيط إلى علاقة وطيدة بين بناء كلمة (قط) ، وكلمة (فقط) ؛ إذ تعدّ الأولى أصلا للثانية ، والفرق بينهما أنّ(فقط) مزيدة بـــسابقة هـــي الفاء على (قط) ، وغير مضعفة اللام .(11)

2-1 أصل (قط)

تشير المعاجم إلى أن كلمة (قط) تدل على الظرفية ، وهي نافية لما مضى ، وأنّ أصلها هو (قطع) ، وهو تلاقٍ في غالبية الأصوات إذ تشتركان فـــي صـــوت القاف والطاء ، ويلاحظ استمرار الفعل (قطع) في استخدام أبناء اللغة وفقا لدلالته المعجمية .

ويبدو أنّ أكثر من علة تلاقت لحذف صوت العين من الفعل (قطـــع) لتـــشكل لفظة (قطّ) أصلا مستقلا ، منها: تأثير تطرف صوت العـــين الحلقـــي ، وكثـــرة الاستعمال؛ فصوت العين صوت احتكاكي ومجهور وحلقيّ ، ونظرا لقوتها تبـــدل الهمزة عينا في بعض اللهجـــات ، فنحو:سأل– تلفظ : سعل، أبدل صوت الهمـــزة عينا لإظهار صوت الهمزة ، وعنعنة تميم ؛ فالتميميون يستبدلون همزة (أنّ)عينـــاً فينطقونها : عنّ .(12)

ويورد رمضان عبدالتواب فكرة تفيد بأن كثرة الاستعمال هي علة سقوط الفاء من سوف عند العلماء العرب .(13)

ويبدو أنّ كثرة الاستعمال أيضا هي علة سقوط العين من (قطع) ، فصارت (قط) ، ويعدّ حذف صوت من الثلاثيّ مجحفا بحق الكلمة [14] ، فعوّض عن الصوت الساقط بتضعيف الصوت الأخير ، فصارت (قطّ) بتضعيف الطاء . وصوت العين في كلمة : قطع ؛ صوت حلقي متطرف ، وغالبا ما تأتي (قطّ) في آخر التركيب ، عند قرب انتهاء النَّفَس ، فلا يسمع صوت العين بوضوح . وإذا تطرف الصوت الحلقي ضعف ، وصعب سماعه . [15]

ويبدو أنّ صوت العين – أيضا– ليس من أصوات القلقلة حتى يَبين ، ومما زاد في ضعفه أنه جاور صوتاً قوياً من حروف الإطباق هو الطاء ؛ فلما تطرف صوت العين سقط ، وعوَّض عنه بصوت مجاوره ، وهو الطاء فضُعِّف .

فهي تشكلت من تآلف (القاف) في موضع فاء الكلمة ، ثمّ (الطاء) مضعّفة في موضع العين واللام : قَ طّ طَ.

وتأتي (قطُّ)على بناءات متعددة ، منها :

قطّ على وزن : فعَلَ ، وهو فعل ماض .

قطْ على وزن : فعْ

قطّ على وزن : فَعّ

قطُّ على وزن : فعّلُ

قطِ على وزن : فعِ

قطٍ على وزن : فعٍ . [16]

فأصل (قطُّ) فعل مضعفٌ هو: قَطِطَ (بفتح العين وكسرها) ؛ يقطُّ قطّا ؛ فالمصدر : القَطّ ، ويلاحظ أن اللام ، وهي الطاء الثانية في كلٍّ من : قطْ بالتسكين ، و قطُ بالضمّ، وقطِ بالكسرة ؛ قد سقطت دون تعويض ، وهو سلوك يخالف نظائرها من المضعف ، نحو : مدّ ؛ فلا يقال : مدِ ، أو مدُ ، أو مدْ.

ويبدو أنّ هذا التميز في البناء قد أدّى إلى تميّز في الدلالة. [17]

2-2 أصل (فقط) :

لا تشير المعاجم القديمة إلى أصل (فقط) . ولم تذكر مادتها اللغوية ، رغم استخدامها في المعاجم و كتب التراث كثيراً . [18]

وجاء في المعجم الوسيط أن فقطُ جاءت بزيادة الفاء على (قطُّ) [19]، وفي هذا نظر ؛ فزيادة الفاء على (قطُّ) توجب وجود تضعيف الطاء في (فقط) ، وتوجب وجود التنوين المرافق للفظ (قطُّ) في بعض صورها، والصورة التى في الاستخدام العربي هي: فقطُ ؛ بالضمّ .

وجاء في المعجم الوافي في النحو العربي– وهو معجم معاصر: ان (فقطْ) اسم بمعنى حسب لاستغراق الزمن الماضي مبنية على السكون، والفاء للتزيين.[20]

وفي هذا نظر ؛ فالفاء للتزيين عندما تأتي زائدة في تركيب لغويّ مسبوقة بـ: أمّا بعد ، نحو : أمّا بعد ؛ فيسرني أن أبلغكم بفوزكم في المسابقة ؛ فالفاء في (فيسرني) زائدة، ولا تؤدي معنى محددا مثل المعنى المستفاد من مجيئها في (فقطْ)؛ لذا جاز أنْ تكون للتزيين، أما في فقط فلا أرى التزيين ، ولعلها جاءت للتخصيص الدلاليّ [21] ،فكلمة (فقطْ) تفيد معنى لا يكون لكلمة : قط ؛ فتخصصت (فقطْ) لتؤكد الوحدات المعدودة ، مثل : الأرقام ، والمعاملات النقدية المكتوبة بخاصة.

ويبدو أنّ تخصيص (فقطْ) اللغوي على هذا النحو يحمل فكرا عن المجتمع العربي[22] ؛ فالعرب زادوا حرف الألف كتابة على المائة ، ولا ينطق بها وعلتها الفرق أو أمن اللبس ؛ حتى لا تلتبس بصورة كلمة : منه أو فيه – مثلا– قبل مرحلة الإعجام .

وقد ربط المعجم الوسيط بين بنية لفظه (فقط) و(قط) ؛ فجعل الأولى بزيادة صوت الفاء إليها ، فهي وفقا لهذا الرأيّ تكون تطوراً للفظة (قط) بإضافة صوت الفاء إليها .

وصوت الفاء ليس من أصوات الزيادة المألوفة في العربية التي تزداد في بداية الكلمة أو ما يعرف بالسوابق ، وليست من أصوات زيادة الدواخل أو اللواحق ، المجموعة في قولنا : سألتمونيها .[23]

ويبدو أن زيادة الفاء في (فقط) حالة تستحق المزيد من الدرس ، وأرى أن هذه الفاء جاءت بمنزلة الطفرة في التطور الصرفي و الدلالي ، ويبدو ذلك جليا من خلال دراستها في ضوء علاقتها بـ (قطّ) ودلالة كلا منهما ؛ فلفظ (قـطّ) لها صور متعددة من البناء ، في حين نجد لفظة (فقط) مبينة على الضم ولا تأتي غير هذه الصورة . وتتعدد دلالة (قـطّ) ؛ منها : القطع ، والسوْقُ ، والحيوان المعروف(بكسر القاف)، ونفي وقوع الحدث في الماضي؛ لكن (فقط) تستخدم في التراكيب العربية للدلالة على معنى واحد هو : تأكيد المعلومات ، وغالبا ما تكون رقمية ، وجاءت دلالتها موافقة لتركيب : (لا غير) وقد تليها كما في الاستخدامات الحديثة نحو : ادفعوا لأمر السيد .... مبلغ مائة دينار فقط لا غير .

وهي صيغ مألوفة في بعض الأوراق البنكية أو الشيكات ، يجمع فيها بين فقط ولاغير، بغرض الزيادة في التوكيد .

وإذا صحّ هذا الاستنتاج فإنه سيكشف عن غرض جديد من أغـراض زيـادة الفاء، هو التخصيص ، ويضيف حرفا إلى حروف الزيادة ، هو حرف الفـاء فـي (فقطْ).

ولفظة (فقط) أكثر اختصارا من تركيب : (لا غير) ، وهـذا سـلوك لغـوي تطوريّ ، تؤكده قوانين التطور اللغويّ وعلته الاستغناء ؛ ونظيره في اللغة العربية الإستغناء عن " حتاه " بـ " إليه "، وورود لا غيـر وفقـط معـاً فـي التراكيـب المعاصرة جاء من باب التوكيد على المعنى .[24]

ويبدو أنَّ (فقطْ) صورة متطورة للفظة (قطْ) ؛ بزيادة سابقة الفاء علـى لفظـة (قط).

ويبدو انّ الزيادة جاءت للتخصيص ؛ فلفظة (فقط) تخصـصت للدلالـة علـى معنى: لا غير، والدليل أنها تستخـدم في بعض الاستعمالات مرافقة لها ، وبخاصة في صياغة الأوراق البنكية .

واهتمام العرب في الأرقام ظاهرة اجتماعية مقررة ، نلمسها في السلوك اللغوي ؛ فكتابة الرقم (مائة) بالألف التي تكتب ولا تلفظ ، وعلة مجيئها على هذه الصورة الفرق [25]، فلا تلتبس بلفظ مشابه ، نحو : منه ، وفيه ، وغيرهما ؛ في مرحلة مـا قبل الإعجام ، ويمكن تصور تخصيص لفظ (فقط) لتحديد الأعـداد الرقميـة فـي المبـالغ المالية ، والمساحات والمكاييل ، ونحوها ؛ نظرا لتنامي حاجات المجتمـع العربيّ في ظل تطور الدولة .

وقد يتخذ منها الفعل فيقال في الاستخدام اللغوي المعاصر(مثلا): هـل فقَّطـتَ الشيك ؟، أو هل الشيك مُفَقَّطٌ ؟ ، أو فقّطْ الشيك يا فلان – بـالأمر ، وبابـه فـي العربية مألوف ، وهو اتّخاذ الفعل من الاسم ، نحو : توسّدَ ، من وِسَادة .[26]

3-المستوى الدلالي :

يرصد هذا القسم من البحث الدلالة اللفظية المعجمية لكل من (قط وفقط) ، ثـم يعرض في القسم الثاني لدلالتهما في تراكيب الكتب التراثية و لدى الشعراء .

3-1 المستوى المعجميّ :

بيّن المعجميون دلالة (قطُّ) في مـصنفاتهم ، واستـشهدوا علـى اسـتخدامها التركيبيّ في الموروث العربيّ ، ولم تبيّن المعاجم العربيّة القديمة دلالـة (فقـطْ) ؛ على الرغم من استعمالهم لها في توضيح دلالة الألفاظ .

تتلاقى لفظتا (قطُّ) و (قطع) في الحقل الدلالي ؛ فالقطُّ هـو: القطـع للمـادة

الصلبة ، ويرى ابن جني أنّ صوت الطاء أكسبها سرعة أزيد من الدال في نحو : مدّ ، والتاء في نحو: متّ.[27]

إنّ استخدام المعجميين : (قطّ وفقط)؛جاء بقصد توضيح الدلالة ، وتقييد المعني ؛ و لعلهم المعجميين يدركون دلالات الألفاظ بدرجة تكون أميز من غيرهم من أبناء اللغة ، ويرمي كل معجميّ إلى توضيح ألفاظ اللغة باللغة ، وهو أمر فيه عسر [28]، وعلى الرغم من ذلك فقد أثرى استخدام المعجميين دلالة اللفظتين ، وسأعرض لاستخدامات اجتهدت في اختيارها لتمثيل هذا التنوع في الدلالة .

3-1 دلالة (قط) في المعاجم :

تأتي قطُّ في صورتين : الأولى قطُّ بتضعيف الطاء مع البناء على الضم ، جاء في لسان العرب : " قال الليث و أما قطُّ فإنه هو الأبد الماضي ، تقول : ما رأيته قطُّ " بالضم للدلالة على معنى الزمان.[29]

وهذا ملحظ له أهمية بالغة ، فالحركة لها وظيفة في المعنى على مستوى اللفظة الواحدة .[30]

وتأتي (قط) لغير معنى الزمان إذا قلت : ما أعطيته إلا عشرين قطّ ؛ " فإنه مجرور فرقاً بين الزمان و العدد ".[31]

أمّا تحريك آخر لفظة (فقط) ؛ فيكون بالضم وحده [32]، وتأتي في آخر التركيب في الغالب ، وقد تتقدم فقط على المُقَط ، نحو : زرته زيارة واحدة (فقط)، نحو : استلمت منه فقط مائة دينار ؛ وأرى أنها تفيد التوكيد في التركيبين ؛ والتوكيد في موضعه لازم في العربية لإزالة الوهم ، فإنّ كلام العرب دون توكيد قد يُحمل على أوجه المجاز الذي بُني عليه غالب كلامهم ، كما جاء في أسرار العربية.[33]

وتأتي (قطُّ) في عدد من الصور اللفظيه ، وهي ذات علاقة بـِ (فقط) ، وأحاول في هذا البحث بيان الصور الأدائية لهما ، والعلاقه بينهما في الاستعمال العربي بعامة القديم و المعاصر .

فقد أوردت المعاجم عدداً من الدلالات اللغوية للفظة : قط ؛ وفي صور أدائية متعددة ، وفيها استشهاد بموروثات نثرية أو شعرية ، منها :

1) قطّ بمعنى قطع ، ويبدو أنها تخصصت في الدلالة على قطع الأشياء الصلبة ؛ ذكرها الثعالبيّ في فصل قطع الأطراف ، قال :" قلّم الظفر ، و قطّ القلم " [34]، و جاء في القاموس المحيط ان القطّ في اللغة هو " القطع عامةً أو عرضاً أو قطع شيء صلب كالحقة " [35]، والأداة : مِقَطّة .

2) و (قطّ) أصلها بفك إدغام الطاء (قطط) ، كما جاء في لسان العرب في مادة قطط : " و القطط صفة ؛ جاء في وصف الأعور الدجال :أن شعره قطط . [36]

3) والقطط و القطائط القطيع من الخيل ، جاء في القاموس المحيط "جاءت الخيل قطائط قطيعاً قطيعاً أو جماعات "[37].

4) والقطّة من الخيالة أو الركبان أو الأنعام هي المجموعة منها تسير مع بعضها بعضاً . [38]

5) و تأتي (قطّ) بمعنى غلا ، يقال: قطّ السعر؛ أي : زاد وارتفع . [39]

6) و تأتي (قطّ) بمعنى الدهر [40] ، و تكون مخصوصة بالماضي ، فهي مضعفة الطاء مرتفعة غير منونة ، تقول ما رأيت مثله قطُّ ، أي : فيما مضى من الزمان. وتقول ما فعلته قطّ ، " قال الليث : وأما قطُّ فإنه هو الأبد الماضي، تقول : ما رأيته قطُّ " بالضم للدلالة على معنى الزمان [41]؛ قال العجاج :

حتى إذا جنّ الظلام واختلط جاؤوا بمذقٍ ، هل رأيت الذئب قطّ[42]

وقوله : هل رأيت الذئب قطّ ؛ سبق التركيب باستفهام .

7) وقد تستخدمها العامة لنفي المستقبل من الزمن لقولهم : لا أفعله قطُّ ، قال ابن هشام : " والعامة يقولون : ما أفعله قطّ ، وهو لحن ".[43]

8) وتستخدم قطّ بتنوين الجرّ ، وبالتسكين ، نحو: ماله إلا عشرة قطّ وحينئذٍ تفيد التقليل [44] ، نحو : ما عندك إلا هذا قطْ أو قطٍ.

9) وتأتي قطٍ ، وقطي ، و قطكَ ؛ اسم فعل بمعنى يكفي ، وتُزاد النون للوقاية قبل ياء المتكلم فتقول : قطني [45]

10) وتأتي (قطّط) بتسكين الطاء الأولى ، وفتحة تلي الطاء الأخيرة ، مثل : شكَّ وهي فعل ماض ، بمعنى ساق الأنعام ، ونحوها ، وتفيد السرعة في أداء الفعل ؛ بحسب ابن جني الذي ربط بين صوت الطاء والسرعة في قط . [46]

11) والقطو: تقارب الخطوات بسبب النشاط . [47]

12) وجاء في مختار الصحاح أنّ القِطّ هو السنور الذكر ، والأنثى القطة، وهو الحيوان الأليف المعروف . [48]

ويبدو أنّ دلالة (قطُّ) في استعمال العرب قريبة من المعنى العام للفظة : قطع ، فقولك : لم أره قطُّ ؛ فيه قطع ، وتأكيد لا يداخله شكٌّ ، أو لبسٌ ؛ بعدم حصول الفعل في الزمن الماضي . واسم القط فيما يبدو أخذ من معنى التقطيع ؛ فالقط

البري أو المتوحش بخاصة ؛ إذا رأى ما يخاف منه أنطلق بسرعة ، و ركضه يكون بابتعاد طرفيه الأماميين عن طرفيه الخلفيين بشدةٍ وبسرعة ، كأنما هو يتقطع . والقطة من خيل أو زمن أو نحوها هي قطعة أو جزء من كلّ أكبر ، ومعنى الكفاية في قولك : قطّكَ ؛ إشارة إلى كمية أو مقدار محدد ، وهو جزء من كمية أكبر يصل إليها الطالب أو الراغب ، والشعر القطط يبدو للناظر قطعة واحدة من شدة تماسكه وكثافته .

ويبدو -أيضا-أنّ دلالة (قطُّ) استقلت عن الأصل (قطع) ، وانتقلت في دلالتها من الدلالة المادية : الكميات والمقادير ونحوها ؛ إلى الدلالة المعنوية كاستعمال القطط صفة للشعر المجعد .[(49)]

2-3 دلالة (قطُّ و فقط) في تراكيب مؤلفي كتب التراث :

اتكأ المعجميون والفصحاء على اللفظتين – قط وفقط – للإبانة عن معانٍ متنوعة ، وسأعرض أمثلة على استخدام اللفظتين عند المعجميين وفي الشعر والنثر ، وسأبدأ بما جاء عن استعمالهما في القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف لمكانة كل منهما في البلاغة في الكلام العربي.

3-2-1 في آي القرآن الكريم :

لم يرد لفظ (قط) في آيات القرآن الكريم للدلالة على الظرف ، وجاء في سورة (ص) قول الله تعالى : ﴿ ربّنا عجّل لنا قِطّنا قبل يوم الحساب ﴾ [(50)] ؛ وقِطُنا في الآية الكريمة بمعنى النصيب من الخير أو الشرّ ، أو ما قطع لنا من نصيب .[(51)]

ويبدو أن هذا فيه تأكيد على تلاقٍ في مادة (قِط) بمادة : قطع ؛ دلالياً ، زيادة على الملاقاة الصوتية .

ولم ترد آية في القرآن الكريم فيها لفظ : فقط ، أو ما يشير إليها .[(52)]

ويبدو أن المعاني التي تطلبها استعمال : قط و فقط ؛ قد أدّاها القرآن الكريم باستعمال ألفاظ غيرها ؛ فالقرآن الكريم ليس معجماً ، أو مدونة للاستشهاد على استخدامات الألفاظ العربية ، إنه كتاب عقيدة ، وليس كل ما لم يستخدم في القرآن الكريم من ألفاظ محوج إلى تفسير ، لكن (قطّ) و (فقط) استخدمتا في كل البيئات العربية على مرّ العصور ، ومنها البيئة الحجازية التي جاءت لغة القرآن موافقة للهجتها في الغالب .

3-2-2 في تراكيب الحديث الشريف :

وردت (قطُّ) في نصوص الحديث النبوي الشريف ، ولم ترد لفظة (فقط) ؛ وسأعرض حديثين شريفين وردت فيهما لفظة (قطُّ) ؛ تجنبا للتكرار.

1- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قطّ ، وقعد لها بقاع قرقر ، تستن عليه بقوائمها ، وأخفافها ، ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت ، وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها ، وتطؤه بقوائمها)) (53)

2- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم ، هل رأيت خيرا قطّ ؟ هل مر بك نعيم قطّ ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم ، هل رأيت بؤسا قطّ ؟ هل مر بك شدة قطّ ؟ فيقول : لا والله يا رب ما مر بي بؤس قطّ ، ولا رأيت شدة قطّ)) (54)

ويلاحظ أنّ التركيب الذي تستخدم فيه قط مسبوق بنفي -غالبا- ، وَاسْتَعْمَلَت قَطُّ بِغَيْرِ أَدَاة النَّفْي, وَمِنْهُ قَوْل عُمَر:" صَلَّيْنَا أَكْثَر مَا كُنَّا قَطُّ وَآمَنهُ رَكْعَتَيْنِ"، وَيُحْتَمَل أَنْ يُقَال إِنَّ النَّفْي مُضَمَّن فِيهِ كَأَنَّهُ قَالَ : هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْل أَحَد أَوْ لَمْ يَقُلْهُ أَحَد قَطُّ، وهو استخدام نَادِر. (55)

وورد حديث نبويّ شريف سُبق فيه التركيب بالاستفهام ؛ قوله عليه السلام: ((هل رأيت خيرا قطُّ)). (56)

و تأثير سبق النفي أو الاستفهام - وغيرهما - على التراكيب ظاهرة مألوفة في الأساليب العربية ؛ إذّ نجد اسم الفاعل (مثلا) يعمل إذا تحققت فيه شروط منها: إذا سبق بنفي . (57)

3-2-3 في تراكيب مؤلفي المعاجم :

استخدم المعجميون لفظة (قطّ) في تراكيبهم اللغوية لتوضيح دلالات الألفاظ ، منها :

- يقول صاحب العين في أول استخدام كلمة فقطِ في معرض حديثه عن مخرج الفاء والباء والميم : " وثلاثة شفوية ف ب م ، مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة **فقط** ، ولا ينطلق اللسان إلا بالراء واللام والنون ". (58)

- وأوضح صاحب مختار الصحاح في كلامه عن أبابيل ، قال : " ونضيره وزنه **فقط** عبابيد " . (59)
- وجاء في القاموس المحيط : " ويحْصُبُ مثلثة الصاد : حيٌّ بهـا ، والنسبة مثلثة أيضا لا بالفتح **فقط** كما زعم الجوهري" (60)
- ومن الأمثلة على استخدام فقط في لسان العرب قوله : " والمجزوء من الشعر : ما حُذف منه جزآن أو كان على جزأين **فقط** ...." (61)

فاستخدامات (فقطْ) عند أصحاب المعاجم العربية جاءت لتدلّ على معنى : لاغير، أو لتحديد علاقة ما قبلها ، أو ما بعدها بموضوع الجملة أو الحكم ، وجاءت في نهاية التركيب ، أو قبل المُفَقَّط.

4-2-3 اللفظتان في تراكيب شعراء العربية :

استعمل شعراء العربية في مختلف العصور اللفظتين لإفادة معان كانت أزيد من المعاني التي وردت للفظتين في المعاجم ، وسأعرض فيما يلي أمثلة لاستخدام لفظة قط :

1) قطّ بمعنى قطع على الأصل ؛ قال المتلمس الضبعي :

وَأَلقَيتُها في الثِني مِن جَنبِ كافِرٍ   كَذَلِكَ أَقنو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ
رَمَيتُ بِها حَتّى رَأَيتُ مِدادَها   يَطوفُ بِها التَيّارُ في كُلِّ جَدوَلِ(62)

يشير المتلمس إلى قطعة الصحيفة التي كان فيها أمر الملك عمرو بن هند بقتله ، وقد كشف المتلمس سرّها ، فرماها في النهر . وقوله : كل قطّ مضلل: إشارة إلى الصحيفة التي اشتملت على أمر مضلل له ، وهو قتله ، وكان الملك قد أعطى الشاعر (المتلمس) ، وطرفة بن العبد صحيفة ، وأوهمهما بأن فيها جائزة لكل منهما ، فصدقه طرفة فقتل ، ونجا المتلمس إذ ألقاها في النهر.

وقال ابن الرومي :

كلما قـطّ أو هَوَى في مَقَـدٍّ   مِضْرَبٌ منه في العظام رَسُوبُ(63)

2) وقال المتنبي :

نيطَت حَمائِلُهُ بِعاتِقِ مِحرَبٍ   ما كَرَّ قَطُّ ، وَهَل يَكُرُّ وَما اِنثَنى؟ (64)

وقول المتنبي: ما كَرَّ قَطُّ ؛ جاء على الأصل في التركيب ، وهو التأكيد على وقوع الفعل في الماضي ، وجاءت قط مبنية على الضم كما في الأصل .

3) قطُّ بمعنى أبداً للحال و الاستقبال ؛ قال مجنون ليلى:

ليلى هِيَ البَدرُ ما لي قطُّ مُصطَبَرٌ   عَنها وَإِن كَثُرَت فيها الأَقاويلُ(65)

قوله: (ما لي قطُّ مُصطَبَرٌ عَنها) أي : لا أصبر عنها الآن ، ولا في المستقبل .

4) قط بمعنى : أبداً للماضي ؛ قال حسان بن ثابت :

وَأحسَنُ مِنكَ لم تَرَ قطُّ عَيني وَأجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ
خُــــلِقتَ مبرأ مِن كُلِّ عَيبٍ كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ[66]

وقال قيس بن ذريح:

وَقَلبِكِ قَطُّ ما يَلينُ لِما يَرى فواكَبَدي قَد طالَ هذا التَضَرُّعُ[67]

وقال أحمد شوقي:

قِفي يا أختَ يوشَعَ خَبِّرينا أحاديثَ القُرون العابرينا
وَلِدتِ لَهُ المَآمينَ الدَواهي وَلَم تَلِدي لَهُ قَطُّ الأمينا[68]

استخدم الشعراء (قطّ) في تراكيب فعلها فعل مضارع (لم تر ، مـــا يلـــين ، ولم تلدي) ، وقد قلب زمان الفعل إلى الماضي بأداة سبقته هي (لم) .

5) قط بمعنى دائما في سياق فعل طلبيّ : قال أبو تمام:

فَنَفسُــكَ قَطُّ أصلِحها وَدَعني مِن قَــديمِ أبِ

وقال في المدح :

لم يجتمعْ قطّ في مصر ولا طرفٍ محمد بن مروان والنوبُ [69]

ويلاحظ أن قوله : (فَنَفسُــكَ قَطُّ أصلِحها) جاء في سياق فعل طلبــيّ ، ويبــدو أنها بمعنى دائما ، وفي البيت الثاني تمّ قلب الزمن في الفعل المضارع بـــ(لــم) ، وهي أداة جزم و نفي وقلب .

6) وتأتي قطّ : اسم فعل أمر بمعنى حسبك ؛ قال ابن الرومي:

ما زلتُ أسقاها وأسقي رهطي حتى تنادَى القومُ قطٌ قطٌ[70]

وقال :

ثلاثـــــــةُ أيامٍ فقطَّ عُـــــددتها به ساهراً في ليله غيرَ راقدِ
بنقض شروط كان أحمقَ ناقضٍ عُراها ولكن كنتَ أحزم عاقدِ[71]

7) قِطّ بمعنى الحيوان ؛ أورد الفراهيدي قول الشاعر :

أكلتُ القطاط فأفنيتها فهل في الخنانيص من مغمز [72]

وقال لسان الدين بن الخطيب :

مَنَارَةَ نَحْسٍ مِنْ نُحَاسٍ حَقِيرَةَ وَقَدْ حَلَّ أعْلاهَا لِيَلْعَقَهَا قِطُّ

ومعلوم أنّ (القِطّ) يلعق بلسانه الأشياء اللامعة .

وسأعرض مثالين على لفظة (فقط) عند شعراء العربية لمحدودية دلالتها فــي الاستخدام الشعريّ:

1) فقط بمعنى : لا غير ؛ قال ابن الرومي:

أنــــتَ لا شك قحطبيّ ولكنْ لستَ حاشاك قحطبيّا فقطُ[73]

2) وجمع البحتري بين (فقط) و(حسبي) إذ قال معاتبا :

أدَعُ الفَـــــــــضلَ فلا أطــــــلُبُهُ   حَسبيَ العَدلُ مِن الناسِ فقَط[74]

ويلاحظ أنّ شعراء العربية في مختلف العصور استخدموا لفظة (قط) ، للدلالة على القطع ، و الظرف لنفي الماضي ، وقطِ للدلالة على اسم الفعل : حسبك . والقط الحيوان المعروف .ولم يستخدم شعراء العربية (قطٌ) بتنوين الضم أو تنوين الكسر – في حدود العلم والاطلاع– ، على الرغم من ذكر الصورتين المنونتين في المعاجم .

واستخدم شعراء العربية (فقط) بمعنى (لا غير) ، والغاية منها إزلة اللبس ، وتحديد المعنى ؛ فالعرب في الغالب يميلون إلى المبالغة أو أكثر كلامهم المجاز ، وهذه اللفظة تأتي لتوكيد حقيقة المعنى .[75]

وكان استخدامها في تراكيب مثبتة أو منفية بخلاف لفظة : قط .

4- المستوى النحويّ :

لم يفرق المؤلفون العرب في مصنفاتهم القديمة بين مستويات اللغة : الصوتي والصرفي و النحوي و الدلالي و الكتابي ، و جرى هذا التفريق حديثا لغايات الدرس؛ لذا سأعرض أشهر الآراء في إعراب (قطُ) و(فقط)؛ والمبنية على تنوع الدلالة.

ولما كان الإعراب غير منفصل عن المعنى فإن النحويين القدماء لم يتجاوزوا في إعراب اللفظة وظيفتها في التركيب.ولعل آراء سيبويه هي الأكثر دورانا عند النحويين في إعراب(قطُ).[76]

4-1 : إعراب (قطُ):

تعرب قط بحسب موقعها في السياق ، وتقع في أحوال إعرابية متعددة منها :

- تأتي (قط)بمعنى (حسب) في نحو: حسبُك درهم ، وقطّك درهم ، والفرق بينهما أن (قط) مبنية ، وحسب معربة .
- لكنّ (قط) لا تقع في جميع مواقع(حسب) [77]، فلفظة (قط) – مثلا– تعرب مبتدأ في نحو : قطك درهمان ، وإذا قلنا : حسبك درهم ؛ فحسبك : اسم فعل أمر ، بمعنى يكفيك وأسند إلى : درهم .
- و تكون (قطّ) ظرفية بمنزلة (ذا) في نحو : ما فعلته قطّ ؛ أي منذ كنت ؛ قال سيبويه: " ذا بمنزلة قط إذا أردت الزمان ".[78]
- و تأتي قطّ بمعنى الاكتفاء [79] ؛ فهي تعرب اسم فعل أمر في نحو قولك لمن يتكلم : قطك .

وجاء في اللباب أنّ (قطّ) بالتضعيف " بنيت لوجهين ؛ أحدهما : أنها أشبهت

الفعل الماضي ؛ **إذ كانت** لا تكون إلا له ، والثاني : أنها تضمنت معنى في ... وقيل تضمنت معنى منذ ... وحُرِّكت لئلا يجتمع ساكنان ، وضُمت لأنها أشبهت منذُ "(80)

وهذا اجتهاد فيه نظر، وأرى أن النصّ فيه تصحيف ، ويستقيم بقولنا:إذ **كادت** (بالدال)؛ لأنّ من العرب من استخدمها لنفي المستقبل ، أو الحاضر ، كقــولهم : لا أفعله قطّ . (81)

و يورد الراجحي ثلاثة آراء للنحويين في (قطّ) ، هي :

الأول: (قطُّ) ظرف لاستغراق الزمان الماضي مبني على الضمّ في محل نصب .

الثاني : (قطْ)ساكنة الطاء ، تكون بمعنى حسب ، وتعرب إعرابها

الثالث : (قطّ) إذا لحقتها نون الوقاية وياء المتكلم (قطّنــي) - نحــو قـــطني إخلاصك ؛ تكون اسم فعل أمر بمعنى يكفي . (82)

ويبدو واضحا من خلال استخدام العرب لــ (قطّ) في التركــيب أنّها تأتي - غالبا - متأخرة في سياق منفيّ ، المسند فيه ماض نحو : ما رأيتُ زرافة قــطّ . وقد يكون المسند فعلا مضارعا قد قلب زمنه بالنفي بـــ (لم) نحو : لــم يــرَ زيــدٌ زرافة قطّ .

وقد تتقدم على المسند نحو : زيد قطّ لم يرَ زرافة ، أو المسند إليه نحو : لم ير زرافة قطّ زيد ، وقد تتقدم على التركيب كاملا نحو : قطّ لم يرَ زيدٌ زرافة .

وقد تأتي – شذوذا – في سياق فعل ماض مثبت نحو : هل رأيت مجوسيا قــط ؟ لكنه مسبوق بالاستفهام ، وتأتي في سياق فعل طلبي نحو : نفسك قط أصلحها ؛ وهــي تفيد الاستمرار في الإصلاح ويبدو أن مجيئها في سياق فعل طلبي هو من الباب نفسه.

4-2: إعراب فقط :

لم تذكر المراجع القديمة آراء النحويين القدامى في إعــراب (فقــطّ)، وذكــر المراجع المعاصرة اجتهادات فيها ، وتقوم تلك الآراء على أساس عدّ الفاء للتزيين، أو واقعة في جواب شرط .

ويرى الراجحي أنّ (فقط) ليست فرعا من (قطُّ) ، بل اسم بمعنـــى حــسب ، وتقع نعتا وحالا ، نحو : حضر طالب فقط ، وحضر زيد فقط ، وذكــر أن الفـــاء للتزيين فيهما . وذكر رؤى للنحويين فيهما غير رأيه ؛ فهم على مذهبين : الأول: يرى أن الفاء واقعة في جواب شرط مقدر في نحو : حضر زيد فقط ، وقط خبــر لمبتدأ محذوف ؛ وتقدير الجملة : حضر زيد فإن عرفت هذا فهو حسبك. والثاني : يرى أن الفاء حرفا زائدا ، وقط اسم فعل أمر بمعنـــى انتـــه أو يكفيــك ، وتقــدير الجملة: حضر زيد فيكفيك أو حسبك . (83)

ويرى مؤلفا المعجم الوافي أن إعرابها يكون بالنظر في موقعها ، فتكون نعتا بعد النكرة وحالا بعد المعرفة ؛ في نحو : حضر طالب فقط ، وحضر زيد فقط .[84]

وأرى أنّ (قطُّ) تعددت معانيها ؛ لذا تعددت أوجه إعرابها بحسب المعنى الذي يفهم منها في السياق ، وأنّ (فقط) فرع لـِ(قطُّ) ؛لذا لم تتعدد مواقعها ، ولم تتنوع معانيها تنوع الأصل ، فهي تأتي للتوكيد في سياق جملة إسنادية ، كأن تقول : القمر طالع فقط ، أو حضر زيد فقط ، أو شربت لبنا فقط ، أ اشتريت لترا حليبا فقط .

ولعلّ الأولى أن تضاف إلى أدوات التوكيد المعنويّ ؛ لأنّ (فقط) ارتبطت بما أكدته أكثر من ارتباطها بالحدث ، ويبدو أنّ الفاء جاءت زيادة على بنية (قط) ، وصارت منها ، لتخصيص دلالتها على التوكيد ، وليست الفاء -فيما أرى- للتزيين.

النتائج:

استعرض البحث استخدام لفظين لغويين هما : قطّ و فقط في اللغة العربية ، وقد اجتهدت أن استقصي الآراء ، وأجمع الأمثلة على استخدامهما في مختلف العصور والبيئات ، وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة منها :

- يبدو أن (قطّ) أصلها (قطع) ، ولكن صوت العين صوت حلقي ، وهو من الأصوات الضعيفة ، ويزيده ضعفا موقعه المتطرف في كلمة : قطع ؛ لسقوط الحركة عند الوقف ، فقامت اللغة بتعويض الكلمة بتضعيف الطاء ، وهو صوت جلد قوي .
- وترد (قطّ) غالبا مسبوقة بنفي ، نحو : ما مشيت لمعصية قط ، وهي لنفي الماضي ، ظرف لاستغراق الزمن الماضي ، وتقابلها (أبدا) ، وهي ظرف معرب يفيد الاستمرار في الزمن المستقبل ، تقول : ما أفعله أبدا ، ووردت (قطّ) في أقوال العرب مع فعل مضارع منفي ، نحو : ما أفعله قطّ ، وهو عند ابن هشام من اللحن .[85]
- ويبدو أنَّ (قطّ) تسير نحو التخصيص الدلاليّ عن طريق اختلاف الحركة ؛ للفرق بين المعاني التي تدل عليها ؛ فمثلا : (قطُّ) بالبناء على الضمة تدل على تأكيد الزمن ، و(قطِّ) بالبناء على الكسرة للدلالة على العدد ، وهكذا ؛ ويبدو أنّ تطرف (قط) في الجملة ، يسقطْ حركة آخرها بسبب السكوت عليها ، فلا يشعر مستخدم اللغة بنشوء ظاهرة التخصيص .
- ويبدو أنّ تطور قط – ذات الدلالات المتعددة ؛ أدّى إلى إيجاد كلمة (فقطْ) ،

وكان إيجادها بهدف خدمة المتكلم ، فقد تخصصت للتأكيد على العدد و المعدود، ويقع غالبا في القيم المالية، نحو : ادفعوا مائة دينار فقط . أو المساحات والمكاييل والمقاييس والأوزان ، نحو : اشتريت عشرين دونما فقط.

- والدليل على العلاقة بين قطّ و فقط ، وأنّ الأولى أصل والثانية فرع ؛ أنّ قطّ متعددة المعاني ؛ فهي تدل -مثلا- على القطع ، ونفي الماضي ، واسم فعل أمر بمعنى حسبك ، بينما فقط محددة المعنى تدل على معنى : لا غير .

- ويبدو أنّ موضوع زيادة (الفاء) على (قط) ليس للتزيين - كما جاء في المعجم الوافي[86]؛ لأنّ موضع التزيين في التراكيب ، نحو :أمّا بعد ، فيسرني أن...الفاء لا تفيد معنى محددا فجاز التزيين ؛ أما زيادة الفاء في (فقط) فقد أدّت إلى تخصيصها للدلالة على معنى : لاغير، للتأكيد على المعنى الوارد في التركيب قبلها ، نحو : ادفعوا مبلغ مائة دينار فقط ، أو بعده في نحو : ادفعوا مبلغ فقط مائة دينار ، وقد يضيف الكاتب عبارة :(لا غير) على التركيب ، وهو دليل على أهمية المعنى عند الكاتب ، و دفعا للبس ، واستحضار المزيد من عناصر الدّقّة في موضوع رقميّ ، وله أهميته عند العرب قديما وحديثا .

- ويبدو أنّ فقط حديثة عهد في العربية ؛ لأنها لم ترد في نصوص عربية وصلت إلينا منذ العصر الجاهلي وصدر الإسلام ؛ فلم ترد في الشعر الجاهلي ، ولا في آيات القرآن الكريم ونصوص الحديث النبوي الشريف ، ويبدو أنها من الألفاظ التي تطلبها التطور العربي في العصور اللاحقة ، والتطور الحضاري عامل في تطور الألفاظ والتراكيب ؛ فاختصار(لاغير) بلفظ (فقط) غاية تطورية ، ووردوها معها في التراكيب المعاصرة جاء من باب التوكيد على المعنى الذي يحرص عليه العرب في بناء التراكيب ؛ خشية توهم معنى غير مقصود [87]، وكان من مقتضيات هذا التطور الاهتمام بالمساحات والمكاييل والمقاييس والأوزان ، ولفتُ انتباه ابن اللغة لأهميتها عن طريق جلب كلمة حديثة، تطرق سمعه لأول مرة ، فيهتم بالفكرة التي جاءت في جملتها اللغوية؛ سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة .

ويلاحظ أنّ استخدامها يأتي في تراكيب مثبتة أو منفية بخلاف لفظة : قط التي تأتي في سياق منفي ، أو يكون السياق مسبوقا باستفهام . [88]

ويبدو أن تعدد أوجه استخدام قطّ أدى إلى تعدد أوجه إعرابها ، و خصصت دلالتها شيئاً فشيأ لتشمل توكيد تراكيب غير عددية ، نحو قولنا - مثلاً - : لن أقرأه فقط ؛ ولكن سأحفظه أيضاً .

الهوامش

1- ابن الأنباري ، أسرار العربية 208
2- الإحصائية إعداد الباحث
3- شاهين ، أثر القراءات ، ص9
4- المعجم الوسيط ، مادة فقط
5- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قط
6- عبدالتواب ، التطور اللغوي، 46
7- سيبويه ، الكتاب ، 3/ 299، وابن هشام ، مغني اللبيب ، 30
8- عبدالتواب ، التطور اللغوي، 46
9- المعجم الوسيط ، مادة فقط
10- السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، ص 114
11- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، ابن منظور، لسان العرب ،مادة قط ولم يشر المعجمان إلى مادة : فقط.
12- الثعالبي ، كتاب فقه اللغة وسر العربية ص111 ، الخليل ، المصطلح الصوتي ، ص67 و172
13- الفراء ، معاني القرآن274/3 ، و السيوطي ، الأشباه والنظائر11/1 ، و عبد التواب ، التطور اللغوي ص 102
14- ابن جني، الخصائص، 243/2، و : ابن هشام، 1998 ، النجادات ، العلة النحوية ص 157.
15- رمضان ، في صوتيات العربية ، 86 . و الخليل ، المصطلح الصوتي ، ص145 .
16- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قط
17- سأشير إليه في المستوى الدلاليّ.
18- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، ابن منظور ، لسان العرب ؛ لم ترد في مادتها قطط أو فقط أو قطع .
19- المعجم الوسيط ، مادة فقط
20- الحمد ، المعجم الوافي في النحو العربي ، ص 222
21- أنيس، إبراهيم ، دلالة الألفاظ ، و : السعران ، علم اللغة ، ص283-284
22- عبدالتواب ، التطور اللغوي،114
23- العكبري ، اللباب ، ج223/2، و الحملاوي ، شذا العرف ، ص38-40 ، و : شاهين ، المنهج الصوتي ، ص43-45
24- ابن جني، الخصائص، 243/2، و الواسطي ، شرح اللمع ، ص 137 ، وابن هشام، مغني اللبيب ص 425-427
25- الحموز، مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها ، ص649
26- الحملاوي ، شذا العرف ، ص45 ، وانظر : المعجم الوسيط : مادة فقط
27- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، مادة قط ، و ابن جني ، الخصائص ، 66/1

28- أشار إلـى صـعوبة دراسـة اللغـة باللغـة العـالم اللغـويّ دي سوسـير ، فرديناند(1857-1913) في محاضراته ، محاضرات في علم اللغة العام .
29- ابن منظور ، لسان العرب مادة قطْ 27
30- ابن منظور ، لسان العرب مادة قطْ ج7 ص381
31- الحموز، عبد الفتاح أحمد ، مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها
32- المعجم الوسيط ، مادة : فقط ؛ وردت بالسكون . وفي المعجم الوافي أيضا بالسكون .ص222
33- ابن الأنباري ، أسرار العربية 208
34- الثعالبي ، كتاب فقه اللغة وسر العربية 206
35- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، مادة قطّ
36- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قطط ؛ ووصف الشعر بالقطط جاء في حديث شـريف : ((عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أراني ليلة عنـد الكعبـة ، فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال ؛ له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد رجّلها ، فهي تقطر ماء متكئا على رجلين (أو على عواتق رجلـين) يطـوف بالبيـت فسألت: من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح بن مريم، ثم إذا أنا برجل جعد قطـط أعـور العـين اليمنى كأنها عنبة طافية ، فسألت : من هذا ؟ فقيل : هذا المسيح الـدجال)) . صـحيح مسلم 154/1
37- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، مادة قط.
38- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، مادة قط.
39- ابن القطّاع ، كتاب الأفعال، 51/3
40- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قطط
41- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قطط
42- العجاج ، ديوان العجاج ، ص 404
43- ابن هشام، مغني اللبيب ، ص 181
44- جاء في لسان العرب : "وأما القط الذي في موضع : ما أعطيته إلا عـشرين قـطْ ؛ فإنـه مجرور فرقا بين الزمان والعدد" (ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قطع ج 381/7)
45- ابن هشام، مغني اللبيب ، ص 182
46- ابن جني ، الخصائص ، 66/1
47- الثعالبي ، كتاب فقه اللغة وسر العربية 177
48- الرازي ، مختار الصحاح ، مادة قطط ، و المعجم الوسيط ، مادة قطط
49- أنيس ، دلالة الألفاظ ص 148 و 155.
50- سورة (ص) الآية 16.
51- جاء في تفسير القرآن الكريم ، للبيضاويّ :"قسطنا من العذاب ، الذي توعدنا به ، أو الجنـة التي توعد ها للمؤمنيين ، وهو من قطّه إذا قطّعه "البيضاويّ، تفسير القرآن الكـريم ، ص 594.
52- لا توجد اللفظة في مظنها في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكـريم.(انظـر : المعجـم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة قطط وفقط).

53- ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، 321/3 ، الحديث رقم14482، صحيح مسلم ج684/2 الحديث رقم 988

54- ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، 203/3 ، الحديث رقم13134،صحيح مسلم ج2162/4،رقم الحديث2807

55- يحدث لبعض الاشتقاقات في العربية استثناء في عملها ، في أحوال منها : اسم الفاعل عندما يسبق بنفي .(ابن هشام ، شرح قطر الندى ، ص201)

56- انظر هامش 54 .

57- ابن هشام ، شرح قطر الندى ص 201

58- الفراهيدي ، معجم العين ، مادة : ماءَ ، يموء.

59- الرازي ، مختار الصحاح ، مادة : أبابيل .

60- الفيروزأبادي ، القاموس المحيط ، مادة : حصب .

61- ابن منظور ، مادة : جزأ .

62- القرشي ، جمهرة أشعار العرب،142، وانظر : البغدادي ، خزانة الأدب 93/1 و368

63- ابن الرومي ، ديوانه ج321/1، وابن الروميّ هو علي بن العباس (221-283هـ)، يعدّ من أشعر أهل زمانه بعد البحتريّ.(الزركلي ، الأعلام ، 279/4)

64- المتنبي ، ديوان المتنبي ، ص124

65- ديوان مجنون ليلى ، ص 155، و مجنون ليلى هو قيس ليلى العامرية ، يقال أنّه من الذين شاعت أخبارهم ولا وجود لهم . جاء في الأعلام أنه مات 688م . (الأغاني ، 11/2، والأعلام 208/5)

66- ابن ثابت ، حسّان ، ديوانه ، 10 ، وحسّان هو شاعر الرسول صلى الله علية وسلم ، شاعر مخضرم قيل أنه عاش120سنة ، مقسومة بين الجاهلية و الإسلام ، قيل إنه أشعر أهل المدينة ، توفي سنة 54هـ

67- ابن ذريح ، قيس ، ديوان قيس لبنى ، ص69 . و قيس بن ذريح شاعر من كنانية التي سكنت المدينة ، عرف بحبه العذري لفتاة خزاعية اسمها : لبنى ، ثمّ تزوجها ، ومالبث أنْ طلّقها ، بناءً على إلحاح أمه ؛ لأنه لم يرزق الولد منها .(الأغاني 83/2-85 ، و الأعلام 205/5)

68- شوقي ، أحمد ،الشوقيات ، ج635/2، وقال في موضع آخر ؛ في السفينة :

فتجلت لي القصور ومن فيـــها من العزّ في منازل قعس
ماضفت قطّ في الملوك على نذ ل المعالي ولا تردت بنجس

انظر : الشوقيات ، ج339/1.

69- أبو تمام ، ديوانه ، 46 ، هو حبيب بن أوس الطائي ، شاعر عباسي مشهور اشتهر بالإكثار من المحسنات البديعية .

70- ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي ، 4/ 344

71- ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي ، ج693/2

72- "القطاط : جمع قط وقطة ". الفراهيدي ، معجم العين ، مادة قط ج15/5.وقد نسب الفراهيدي البيت إلى الأخطل ، ولم أعثر عليه في ديوانه .

73- ابن الرومي ، ديوان ابن الرومي ، ج791/2

74- البحتري ، ديوان البحتريّ ، ج667/2 ، والبحتري شاعر عباسي ، ولد بمبنج بلـــدة بـــين حلب و الفرات ، وتوفي بها سنه 284 هــ

75- ابن الأنباري ، أسرار العربية 208

76- سيبويه ، الكتاب ، 216/4

77- سيبويه ، الكتاب ، 368/3

78- سيبويه ، الكتاب ، 286/3

79- سيبويه ، الكتاب ، 228/4

80- العكبري ، اللباب ، 84/2

81- ويؤيده قول عمر _رضي الله عنه _ : " صَلَّيْنَا أَكْثَر مَا كُنَّا قطُّ وَآمَنهُ رَكْعَتَيْن"؛ ومعلـــوم أنّ عمر بن الخطاب من عصور الاحتجاج . انظر هامش 55 .

82- الراجحي ، التطبيق النحويّ 253و425

83- عبده الراجحي ،التطبيق النحويّ 429

84- الحمد ، المعجم الوافي في النحو العربي ص222

85- انظر : هامش 43 من هذا البحث

86- انظر : هامش 20 من هذا البحث

87- انظر : هامش 24 من هذا البحث

88- الحمد ، المعجم الوافي في النحو العربي ص222

المصادر والمراجع :

1- ابن الأنباريّ، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ، أسرار العربية، ط1، حققه بركات يوسف هبّود، دار الأرقم، بيروت،1999 .

2- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992.

3- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1992.

4- البحتري ، ديوان البحتري ، تحقيق د. محمد التونتجي، ط1، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، 1994.

5- البغدادي ،عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب أدب العرب ، دار صادر بيروت، لبنان ، (د.ت) (د.ط).

6- البيضاويّ ، أبوسعيدعبدالله بن عمربن محمد الشيرازيّ ، تفسير القرآن الكريم – أنوار التنزيل وأسرار التحقيق ، مكتبة أسامة ، مصر (د. ت) (د.ط).

7- ابن ثابت ، حسان ، ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر، بيروت لبنان

8- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل ، كتاب فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق د. فائز محمد ، ود. إميل توفيق ، ط2، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان،1996

9- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي ، ديوان أبي تمام ، تحقيق د. شاهين عطية ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1968.

10- ابن جني، أبو الفتح عثمان ، الخصائص، حققه عبد الحكيم بن محمد المكتبة التوفيقية (د.ط). (د.ت)

11- الجمحي، ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، 1985 .

12- الحملاوي ،أحمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ،ط19، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1972.

13- الحموز، عبد الفتاح أحمد ، مواضع اللبس في العربية وأمن لبسها ، مجلد 2،ع1، حزيران مؤته للبحوث والدراسات – جامعة مؤتة ، 1987.

14- ابن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة – القاهرة

15- الخليل ، عبد القادر مرعي ، **المصطلح الصوتي** ، ط1، منشورات جامعة مؤتة ، 1993.

16- الراجحي، عبده، **التطبيق النحوي**، ط1، مكتبة المعارف، الرياض 1999.

17- رمضان ، محيي الدين ، **في صوتيات العربية** ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، 86 .

18- الرازي ، محمد بن أبي بكر عبدالقادر ، **مختار الصحاح** ، ط1 ، دار عمار، عمان، الأردن ، 1996.

19- ابن الروميّ ، علي بن جريج الرومي ، ديوان بن الرومي ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1973.

20- الزركلي ، خير الدين ، **الأعلام** ، ط6، دار العلم للملايين ، بيروت، 1984.

21- السامرائي، **فقه اللغة المقارن** ، ط1، دار الفكر للنشر،عمان، 1987.

22- السعران، محمود ، **علم اللغة العام مقدمة للقاريء العربي** ، دار النهضة العربية، بيروت (د.ط) .

23- سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر ، **الكتاب** ، ط1، دار الجيل بيروت، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، 1991.

24- السيوطي ، جلال الدين ، **الأشباه والنظائر في النحو**، حققه محمد عبد القادر الفاضلي، ط1،المكتبة العصرية،بيروت ، 1999.

25- شاهين، عبد الصبور، **المنهج الصوتي للبنية العربية**، مؤسسة الرسالة (د.ط) (د.ت).

26- شاهين ، **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء)**, ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1987.

27- شوقي، أحمد ، **الشوقيات** ، تحقيق د. يحيى الشامي ، ط1 ، دار الفكر العربي ، بيروت،1996

28- عبد التواب ، رمضان ، **التطور اللغوي**، ط1، مطبعة المدني، القاهرة، 1983

29- العجاج، **ديوان العجاج**، رواية الأصمعي، تحقيق سعد ضناوي،دار صادر ، بيروت، 1997

30- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، **شرح ابن عقيل**، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ط) 1974

31- العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، ط1، دار الفكر بدمشق 1995.

32- عمر بن أبي ربيعة ، ديوان عمر بن أبي ربيعة ، شرح وتحقيق علي مهنا، دار الكتب العلمية، 1986.

33- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد ، معاني القرآن، حققه بدر الدين الدسوقي عبد العزيز، مؤسسة الأهرام، القاهرة ، 1989.

34- الفيروزبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجليل، بيروت، (د ط)

35- القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ،،جمهرة أشعار العرب. - حققه علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر/ القاهرة (د.ط)(د.ت) .

36- ابن القطّاع ، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي ، كتاب الأفعال ، ط1،عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1983م.

37- قيس لبنى ، قيس بن ذريح ، ديوان قيس بن ذريح ، تحقيق عبد الرحن المصطاوي ، ط1، دار المعرفة بيروت ، لبنان 2003

38- المتنبي ، أبو الطيب ، ديوان المتنبي ، تحقيق عبدالرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

14- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة، تركيا، (د.ط)، 1989.

15- مجنون ليلى ، قيس بن الملوح ، ديوان مجنون ليلى ، شرح د. يوسف فرحات ط1 دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان 1992

39- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1995.

40- النجادات ، نايف محمد ، العلة النحويّة في ضوء أعراف المجتمع العربيّ - رسالة دكتوراه - جامعة مؤتة / 2004.

41- النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط3، ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان، 1984

42- ابن هشام ، أبو محمد عبدالله جمال الدين الأنصاري ، **قطر الندى وبل الصدى** ، حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، دار الخير، بيروت ، 1990.

43- ابن هشام ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، حققه : مازن المبارك محمد علي حمد الله، ط1، دار الفكر، لبنان، 1998.

44- الواسطي ، القاسم بن محمد بن مباشر ، **شرح اللمع في النحو**، حققه رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب،ط1، مكتبة الخانجي القاهرة 2000.